

صالح رايس بطل الوحدة والجهاد 1552-1556

Salah Rais, The Hero of Unity and Jihad

م م ش زغار محمد مختار
م و د ب - ت ع ج / ن ع 1

الملخص :

تكوّن صالح رايس عسكريا على يد خير الدين باشا، ويعتبر أحد القادة والرياس الذين رفعوا راية الجهاد، تولى شؤون آيالة الجزائر سنة 1552، وشرع في حملاته على إمارة توقرت وورقلة، وحارب الإسبان لاسترداد بجاية، وخاض معارك بحرية مع البرتغاليين في بادس، وتصدى للسعديين في المغرب، ورسم الحدود الجزائرية الغربية، ليموت سنة 1556، بالطاعون وهو في طريقه لحملته على وهران.
الكلمات المفتاحية:
صالح رايس، بجاية، الإسبان، البرتغاليين، الحملات العسكرية.

Summary:

Salah Rais was Grew up in the military domain by Kayreddin Barbarossa, he is considered one of the leaders who fought for Algeria, he lead many military campaigns against the Tuareg and Ouargla emirates, he also carried out wars against the Spanish to liberate Bejaia and other war against the Portuguese to liberate Pads, one of his accomplishments is the demarcation of the western Algerian border, Salah Rais tried to free Oran from the Spanish occupation but he died of plague in 1556 while on his way to Jihad.

Key Words :

Salah Rais, Bejaia, Spanish, Portugal, military Campaigns.

مقدمة:

إن الدارس لتاريخ الجزائر الحديث سيدرك أن الأحداث المتوالية في سنوات 1550، ستظهر انكماشاً في نفوذ الإسبان وحلفائهم السعديين في المنطقة المغاربية، وهو انكماش يعود الدور الرئيسي فيه إلى القدرة الهجومية للجيش الجزائري البري والبحري، ومن أجل تحديد مسيرة الأحداث ينبغي أولاً تحديد الشخصيات القيادية التي قامت بالدور الرئيسي، من خلال إظهار العلاقات بين الأقطار المغاربية في النصف الثاني من القرن السادس عشر، ومن أبرز هذه الشخصيات التي لعبت دوراً مميزاً في سير الأحداث شخصية صالح رايس الملك السابع للجزائر، الذي لم يكن مجهولاً عند الجزائريين فهو مساعد خير الدين بربروس لذلك سنتطرق لشخصية صالح رايس من خلال تسليط الضوء على نشأته وتكوينه

العسكري ودوره في قيادة الجيش الجزائري البري والبحري مبرزين مدى نجاح حملاته العسكرية علي بجاية ووهران، وهل تمكن فعلا من تحقيق هدفه في توحيد التراب الجزائري كاملا تحت راية دولة الجزائر؟ وماهية علاقاته الخارجية بالدول المجاورة: السعديين، والدول الأوربية، البرتغاليين والإسبان.

1- نشأته وتكوينه العسكري :

ولد بالإسكندرية¹ زمن السلطان سليم الأول يوم جاء لحرب المماليك بمصر، حيث قضى عليهم لينتقل صالح رايس بعدها لمقر الخلافة العثمانية، ومنها إلى بلاد البربر²، حيث وضع نفسه في خدمة خير الدين بربروس الذي أحبه وأعجب بشجاعته وإقدامه، فمنذ سنة 1529، كان يعتبر في طليعة رياس الجزائر³.

وفي سنة 1535، حين ذهب خير الدين إلى إسطنبول اختار صالح رايس ضمن قاداته العسكريين الذين رافقوه وأبرزهم سنان باشا، ودرغوث باشا، وحتى يوم تسلمه قيادة الأسطول العثماني راح يقدم صالح رايس في قيادة أهم تشكيلاته البحرية، ففي حملته سنة 1543، على سواحل الإمبراطورية الإسبانية قام بإرسال صالح رايس إلى تولون على رأس 22 سفينة حربية والتي زرع بها الخراب في جزر روزاس و بلاموس وفي معركة لابريفيزا الشهيرة التي قاد فيها صالح رايس تشكيلة من السفن، و كل هذا كان تحت أنظار القبطان خير الدين بربروس⁴ الذي راح يعرض علي صالح رايس قيادة سفينة السلطان الشخصية والتي يستعملها في سياحته ونزهاته البحرية، وهذه المهمة بالضبط لم تكن لتمنح إلا للأشخاص المقربين من السلطان والذين يحوزون على ثقته شخصيا⁵، ليعين بعدها قائدا عاما للأسطول العثماني⁶، الأمر الذي دفع روستان باشا ليرشحه لحكم آيالة الجزائر، وهذا ما لقي قبولا عند السلطان سليمان الذي كان يعلم ما لصالح رايس من قدرات عسكرية وخبرة في مثل هذه المهام، خاصة وأن آيالة الجزائر كانت تمر بأوضاع داخلية وخارجية جد استثنائية⁷.

2- ظروف تولي صالح رايس آيالة الجزائر :

عين صالح رايس بيلرباي على آيالة الجزائر في جانفي من سنة⁸ 1552، في ظروف مغاربية ودولية جد معقدة، يمكننا توضيحها انطلاقا من دراسة عدة مصادر عايشت الأحداث أو كانت قريبة من تاريخ وقوعها وسجلتها بدقة تامة⁹، فالأوضاع الدولية كانت جد صعبة ومتشابكة بتفاقم الصراع العثماني الصفوي بالشرق، وتجدد الحرب الإسبانية بقيادة شارلكان في البحر المتوسط¹⁰.

أما الظروف المغاربية الخاصة فكانت إرتفاع حدة التوتر في العلاقات الجزائرية المغربية بقيادة السعديين وسلطانهم الشريف مولاي محمد، الأمر الذي جعل السلطان سليمان يطلب من صالح رايس أن يتعامل مع الشريف السعدي بليوننة، والذي راح يمنحه غنائم هائلة كان قد غنمها في حملاته السابقة على إسبانيا، والبرتغال، وجبل طارق، لكن السلطان السعدي لم يرد للعلاقات أن تتحسن بين الطرفين إذ أعلن نفسه خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين منافسا للسلطان في إسطنبول¹¹، فوجد أنه من غير العادة أن يكتب السلطان ثلاث رسائل لأعيان آيالة الجزائر واحدة منها لتزكية الوالي الجديد، ورسالتان للسلطان السعدي ملك فاس، أما الرسالة لأهالي الجزائر¹² فجاء فيها إعلام السلطان الأهالي بتولية صالح رايس شؤون آيالة الجزائر وما يتصف به من شجاعة، وشهامة، وإقدام، ونقاء السيرة والسريرة، وإنه اشتهر بكمال قوته وصلابته عند الشدائد، أمرا إياهم بوجود طاعته والالتفاف حوله.

أما الرسالتان اللتان وجههما السلطان سليمان للشريف السعدي فجاء فيهما أنه عزل حسن باشا لأنه لم يحسن الجوار، وأنه أمر واليه الجديد صالح رايس أن يقف معه لمحاربة الكفار - يقصد الإسبان والبرتغاليين المتربصين - ويدعوه للتعاون معه¹³ ، بينما يخبره في الرسالة الثالثة أنه قد حباه وأنعم عليه بثلاث خلع سنية.

إن هذا الخطاب من السلطان سليمان العثماني لم يعجب الشريف محمد السعدي والذي رفض العروض الجزائرية العثمانية للمصالحة، إذ عرف على هذا السلطان شخصيته القوية وطموحاته الكبير، ورغبته في التوسع، لذلك لم يكن ليقبل باللهجة التي خاطبه بها السلطان سليمان معتبرا إياه كواحد من ولاته¹⁴.

كما أنه أراد استغلال الظروف العامة المحيطة بالدولة العثمانية وإيالة الجزائر، فكما سبق وذكرنا أن العثمانيين كانوا يقاتلون على عدة جبهات من الشرق الصفويين والغرب الإسبان والبرتغاليين، لذلك رأى أن الظروف صارت ملائمة لتوسع على حساب آيالة الجزائر، وتوسيع نطاق مملكته على حساب الحدود الجزائرية الغربية التي طالما أرد احتلالها، وهذا ما سيوطد حسب زعمه حكمه لبلاد المغرب الإسلامي على حساب حكام يواجهون ظروف داخلية أكثر تأزما، ففي شرق البلاد كانت بجاية تقبع تحت حكم الإسبان¹⁵ ، الذين احتلوا وهران و المرسي الكبير¹⁶ في غرب البلاد، دون أن ننسى تلمسان التي كانت تحت حكم الزيانيين.

وفي الصحراء أعلن حكام توقرت و ورقلة العصيان والتمرد على السلطة المركزية، الأمر الذي سيبين لنا الدور الفعلي الذي سيلعبه صالح رايس في خضم هذه الظروف الصعبة والجد معقدة خلال فترة حكمه للآيالة¹⁷.

3- إنجازات صالح رايس العسكرية :

اعتبرت فترة حكم صالح رايس لآيالة الجزائر 1552-1556، بفترة التمردات الداخلية والجهاد ضد الإسبان لذلك نجده يبدأ حكمه بثلاث حملات كبير استكمالا لمشروع الجهاد والوحدة، وهذا ما ذكر في رسالة¹⁸ بعث بها أعيان مدينة قسنطينة في نوفمبر من سنة 1555، إلى السلطان سليمان القانوني يشيدون فيها بدور صالح رايس وحملاته الثلاث المظفرة، حيث تظهر بشكل مبطن الصعوبات الداخلية التي أدت لفرض هذا الصنف من إعلان الولاء على الأعيان فمحتوي الرسالة باختصار هي أن صالح رايس في سنته الأول مهد البلاد ونشر السلم والاستقرار في إشارة من الأعيان إلى حملته على توقرت و وورقلة سنة 1552، ثم في سنته الثانية هزم أعداء الملة وأجلاهم للمغرب الأقصى في إشارة منهم لتصديه للسعديين، وفي العام الثالث حرر بجاية من يد الإسبان أعداء الدين، حيث أشادت الرسالة بخصال صالح رايس وأكثرت من تعابير الولاء للسلطان.

بمقارنة محتوى هذه الرسالة مع الرسائل السابقة التي بعث بها أعيان الجزائر للسلطان سليمان حتى آخر رسالة بعث بها أعيان الجزائر للباب العالي سنة 1818، نجد أنها تصب في سياق واحد وهو مطالبة السلطان أن يرعى ويحمي حاكم إيالة الجزائر، وما يمكننا القول حول هذه الرسائل عموما

أنها كانت مرتبطة بظروف وأزمات داخلية وخارجية صعبة تجعل الحكام يوحون إلى الأعيان بكتابة هذا النوع من رسائل الولاء إلى إسطنبول، وكون المبادرة في هذه الرسالة جاءت من قسنطينة يرجع في نظرنا إلى الوضع الذي مرت به المنطقة من ثورات داخلية وتمردات مست كامل الشرق الجزائري ولم تتوقف الاضطرابات إلا بقدم صالح رايس الذي مهد الأوضاع الحسنة واستطاع إخضاع قسنطينة ومنطقتها من جديد.¹⁹

1.3- حملة صالح رايس لإخضاع توقرت و ورقلة :

تولى صالح رايس حكم آيالة الجزائر في أفريل سنة 1552، فكان أول عمل عسكري له هو إخضاع حاكم توقرت ابن جلاب الذي أعلن العصيان والتمرد²⁰ رفقة حكام ورقلة، ليبدأ مشروعه الكبير في حملة ضخمة قاده الى شرق البلاد وجنوبها أوصلته حتى تخوم الصحراء الجزائرية توقرت وورقلة اللتان أجبرهما على دفع إتاوات للجزائر، لقد اعتبرت هذه المدن محطات لتجارة الذهب السوداني والرقيق فدفعوا كميات كبيرة من الذهب لصالح رايس²¹.

وفي ذلك يقول المؤرخ الاسباني دو هايدو²² De Haédo، مبرزاً أحداث الحملة العسكرية: «... صالح رايس يصل الجزائر في أفريل 1552، على رأس عشرة سفن شراعية وفي نفس هذه السنة أعلن ملك توقرت الموري أين مملكته تقع على مسيرة واحد وعشرون يوماً من الجزائر والى خمسة أيام من بسكرة على حدود الصحراء من أراضي الزنوج، والذي راح ينتفض ويرفض دفع الغرامة السنوية ... ليسير إليه صالح رايس في بداية شهر أكتوبر بثلاثة آلاف رجل من الأتراك مسلحين بالبنادق وألف فارس ومدفعين فقط، بدون أن يعلن عن وجهته بغرض الانقضاض على العدو علي حين غرة، ليصل بجيشه إلى القريب من توقرت، التي احتار ملكها الشاب فيما يفعل هل يخرج لحرب صالح رايس أم يغلق أبوابها ويتحصن فيها وكله أمل في حلفاءه من الأعراب لضرب صالح رايس، لكن هذا لم يحدث وحاصرها صالح رايس مدة ثلاثة أيام ويستولي عليها في اليوم الرابع، لينتقل بعدها لإخضاع إمارة ورقلة ...»²³.

وبذلك يكون صالح باشا قد أقر النظام في الصحراء بإخضاع إمارة توقرت و ورقلة التي اتفق مع أعيانها الإباضية²⁴ ، وأستتب الأمن والاستقرار في الشرق الجزائري ومد نفوذ السلطة المركزية بالجزائر.²⁵

ويجدد بنا القول أن صالح رايس لم يكن وحيدا في هذه الحملة وإنما استعان بحاكم قلعة بني عباس ومجانة عبد العزيز المقراني²⁶ ورجاله من محاربي زاوة الذين شاركوا بقوة في اخضاع توقرة وورقلة وصولاً إلى الأغواط، التي اعترف سكانها بسلطة آيالة الجزائر عليهم ودفعوا ضرائب سنوية، حيث رجع صالح باشا من حملته ب15 جمل محملين بالذهب وكثير من الغنائم المؤلفة من الأقمشة، الجلود، الجواهر، بالإضافة للحيوانات و5 آلاف من العبيد²⁷، ليتفرغ صالح رايس لهدفه الأكبر الرامي لطرد النصارى الإسبان من الجزائر وبجاية، ووهران فالجهاد في نظر الدولة الجزائرية آنذاك هو حرب الإسبان والبرتغاليين خاصة، لهذا راح صالح رايس يهتم بإصلاح سفنه، ليخرج في شتاء سنة 1553، في حملة بحرية فانطلق من ميناء الجزائر بسفنه الأربعين من شراعية كبيرة وصغيرة في حملة²⁸ على جزيرة مايوركا الإسبانية²⁹، وحين عودته للجزائر من تلك الحملة البحرية راح يضاعف الحاميات في المدن وينصب

الأبراج ويوطف دعائها وينظم طرق تعامل تلك الحاميات مع شيوخ الأوطان المعنية في شرق وجنوب البلاد وهذا تجنباً لمثل هذه الاضطرابات مستقبلاً³⁰.

2.3- حملة صالح رايس التأديبية على حاكم قلعة بني عباس:

كانت العلاقة بين صالح رايس وعبد العزيز المقراني طيبة تعتمد على تبادل المصالح والتحالف العسكري، رغم اختلاف وجهات النظر فصالح رايس كان يرى وجوب دخول المقراني حاكم القلعة ومجانة تحت سلطة آيالة الجزائر في إطار مشروعه الكبير وهو توحيد الجزائر تحت راية واحدة، بينما كان عبد العزيز يرى نفسه ملكاً مستقلاً بإمارته وهو من سلالة الملوك، وأن تبقى علاقته بالدولة الجزائرية علاقة حليف غير خاضع لها، هذا الأمر الذي عجل بالصدام بين الطرفين فيما بعد³¹.

لما جاء صالح رايس للجزائر كليلرباي عرف ما لعبد العزيز من قدر وشرف، وما كان بينه وبين حسن باشا الحاكم السابق من اتفاق وتحالف، وأنه مقاتل شرس وملك على قبائل زاوية الذين أعانوا حسن باشا في حربه ضد مولاي عبد القادر في تلمسان، لذلك وثق رابط تحالفه مع هذا الملك القدير وأشركه في حملاته العسكرية على توقرت، ورقلة، والأغواط، التي قاد فيها عبد العزيز حوالي 8000 مقاتل من زاوية³².

لقد كانت هذه الحملة التي كللت بالنصر والغنائم الوفيرة هي السبب الثاني والرئيسي في الخلاف بين الطرفين وبداية المواجهات العسكرية بينها، فحسب هايدو قد دفعت كل من توقرت وورقلة حوالي 200 أوقية من الذهب³³، بل يذكر دوفوليكس Devoulx أنه وجد بعض الوثائق والأرشيف تظهر بأن الغرامات بقية تسدد حتى الأيام الأخيرة لآيالة الجزائر³⁴.

وبخصوص هذه الغنائم كذلك تذكر حوليات أن نزاعاً قام حول طريقة تقسيمها بين كل من صالح رايس وعبد العزيز المقراني الذي اعتبر أن نصيبه منها لم يكن بالقدر الذي بذله جيشه في الحملة³⁵، فلم يتفق الطرفان على حل مناسب ليشرع صالح رايس في تطبيق مشروع الوحدة ويبدأ الصدام بين الجيشين فكانت وقائع ومعارك بينهما جد مؤلمة وشرسة قتل فيها الفاضل أخو عبد العزيز، ومني فيها الطرفان بعدة هزائم وذلك في أواخر ديسمبر سنة 1552.

يذكر مارمول كاربخال Marmol Carvajal، أحداث أبرز المعارك فيقول: "... والحق أنهم ما كانوا يجرؤون على القيام بتلك الحملة - يقصد الحملة علي توقرت وورقلة- لولا معونة قبائل بني عباس... وقد كتب حسن باشا إلى صالح رايس يبلغه أن صاحب جبال بني عباس يضمرك العصيان والتمرد وإثارة البلاد وأن الخبر جاءه من الأعراب الموالين للأتراك، وقد كان صاحب القلعة ذات يوم مع صالح رايس في محلته فجاءه الخبر أن صالح رايس يريد القبض عليه فهرب بفرسه واختفي في الجبال، حينها بدأ يقيم الحواجز والتحصينات ثم أعلن الحرب على دولة الجزائر، ولما علم صالح باشا بذلك أخذ يستعد و يحتاط مخافة أن تؤدي انتفاضة هؤلاء السكان المعروفين بقدراتهم القتالية إلى إشعال ثورة عارمة في البلاد، وفي بداية الشتاء تحرك إلى مكان يقع في سفح جبل بوغني وجرت بين الطرفين معارك كثيرة هناك قتل فيها الفضل أخو عبد العزيز، لينسحب صالح رايس تاركاً المجال لصاحب القلعة لتحصن وإعادة بناء قلعته والقيام بغارات على القبائل الموالية للأتراك، فعظمت

قوته واشتهر في البلاد، ليرسل له جيش آخر قوامه ألف جندي انكشاري بالبنادق و500 من الفرسان وستة آلاف من العرب المواليين له بقيادة ابنه محمد³⁶ الذي مني هو الآخر بهزيمة قرب سفح بوغني، قتل فيها خلق كثير من الطرفين...³⁷.

ترك صالح رايس عبد العزيز لفرصة أخرى وسكت على مضض عن هزيمة جيشه في بوغني، نظرا للظروف التي تمر بها البلاد من مجيء أبو حسون الوطاسي للجزائر، والخطر السعودي الإسباني المحيط بالحدود الغربية³⁸.

لقد واصل عبد العزيز التحرش بالسلطة الجزائرية في المنطقة، حيث علم صالح رايس من عيون هناك أن صاحب القلعة يفرض الضرائب على قبائل من ناحية المسيلة، مما فرض عليه إرسال حملة ثالثة للمنطقة بقيادة سنان رايس³⁹ قوامها 400 من المشاة، وخمسون فارس، و ألف وخمسمائة من العرب ليمنع هذا التمادي من صاحب القلعة، فالتقى الجيشان مرة أخرى وكانت الغلبة لعبد العزيز الذي هزمهم ولم يعط الأمان لأحد بل قتلهم جميعا ولم ينج سوى رئيسين من الأتراك، أما العرب فجردهم من سلاحهم ولم يقتلهم، لكنه تخوف من صالح رايس حين علم بانتصاره في بجاية واستعد لمواجهة من جديد⁴⁰، غير أن موت صالح رايس ومجيء صديقه حسن باشا بددت مخاوفه قليلا، ولم تنته هذه الاضطرابات تماما إلا سنة 1559، تاريخ وصل الحسن بن خير الدين للجزائر⁴¹.

3.3 - حملات صالح رايس على الدولة السعودية وترسيم الحدود:

كما سبق الذكر أن صالح رايس عند قيامه بحملته على جزيرة مايوركا⁴² في سنة 1553 والتي انسحب منها في جويلية⁴³ إلى ميناء بادس التقى بخمس سفن للنقل وسفينة برتغالية صغيرة، ولنقل أنه امتلك شيء من وسائل النجاح⁴⁴، حيث كان من بين ركاب تلك السفن النصرانية ملك بادس أو فاليز على حد قول الإسبان، أبو حسون الوطاسي الأعور الذي تعرف إليه صالح رايس واصطحبه للجزائر وفي ذلك يقول هايدو: "... وصالح رايس وهو يتعرف على تلك السفن المسيحية، راح يقوم بالإحاطة بها وبقصفاها من كل جانب دون توقف والتي وجد فيها أبو حسون الأعور ملك فاليز..."⁴⁵.

بينما نجد الناصري صاحب الاستقصا يذكر رواية أخرى مفادها «أن أبو حسون الوطاسي هو من نزل بأرض المغرب الأوسط -الجزائر حاليا- ووزين لهم بلاد المغرب الأقصى⁴⁶ ووعدهم بالمال والذهب والولاء التام إن هم أعادوا له ملك أجداده، فأجابوا طلبه وأقبلوا معه في جيش كبير بقيادة صالح التركماني الذي دخل مدينة فاس بعد معارك كبيرة⁴⁷»، لكننا نرجح رواية هايدو لأنه الأقرب من صالح رايس باعتباره أسيرا في تلك الفترة بالجزائر⁴⁸.

لقد كان الوطاسيون حكام فاس قبل أن يطردهم منها محمد الشيخ⁴⁹ سنة 1549، والذي عاد للتحرش بالحدود الجزائرية الغربية⁵⁰، ويعقد التحالفات مع الإسبان، الأمر الذي دفع لتوتر العلاقات الجزائرية السعودية من جديد ودخولها في صراع ضاري بداية بمعركة تازا⁵¹ ومعركة فاس⁵²، والتي جرت أحداثها كآلاتي، عند تعدي محمد الشيخ على الحدود الغربية أعلن صالح رايس الحرب عليه واستعد للقائه مع بداية شهر جانفي سنة 1554، يقود قوات تعدادها ستة آلاف جندي محملين بالبنادق وألف من الصباحية، ليلتحق بهم حوالي الأربعة آلاف فارس من الأهالي ومن أرسلهم ملك كوكو، وقسم من

جنود أبو حسون الوطاسي وفرق أخرى من قبائل الأعراب الموالية⁵³.

أما مارمول فيذكر أن صالح رايس اصطحب معه مدفعية مكونة من 12 مدفع سلمت قيادتها لثمانين أسير اختيروا بعناية فائقة لهذه المهمة، وبعد أن وعدهم بالحرية إن هم تمكنوا من دك حصون تازا وفاس بنجاح، كما أرسل حوالي 22 سفينة شراعية صغيرة أمرها بالرسو قرب مدينة مليبية بفرسخين إلى ثلاثة فراسخ من مدينة فاس⁵⁴، لقد كان هذا تكتيكا حريبا ذكيا من صالح رايس ففي حالة الهزيمة أو الانسحاب من مدينة تازا أو مدينة فاس سيجد ما يغطي عليه ويحمه للجزائر.

أما محمد الشيخ السعدي فسار بجيش قوامه الأربعون ألف جندي من فرسان ومشاة⁵⁵، والتقى الجمعان عند مدينة تازا وهزم الشريف السعدي بعدما انسحبت أغلب قواته وانضمت للشريف الوطاسي، ونجحت المدفعية الجزائرية في دك أسوار المدينة، فدخل صالح رايس المدينة وأقام فيها حامية مكونة من 200 جندي⁵⁶، وواصل مسيرته نحو مدينة فاس التي تحصن فيها الشيخ السعدي وبدأ ينظم جيشه للمواجهة عند أسوارها، التي دكتها المدفعية الجزائرية هي الأخرى ودخل صالح باشا المدينة عنوة واستولي عليها بعد فرار الشريف السعدي وكانت الوقائع في شهر مارس من سنة 1554⁵⁷، فمكث صالح رايس في مدينة فاس مدة خمسة أشهر حيث اهتم بشؤون المملكة هناك وقوي نفوذ أبو حسون فيها، ليضمن ولاءه لآيالة الجزائر⁵⁸، ولم يتوقف عن الجهاد فنجده يرسل فرق عسكرية لبلاد الريف بالمغرب لاسترجاع صخرة باديس⁵⁹ أو فاليز، وليضمن الاستقرار في المنطقة ترك حامية جزائرية مع أبو حسون ليضمن إخلاصه التام⁶⁰.

عندما اطمأن صالح رايس على البلاد قفل راجعا للجزائر يسير ببطء ليتفقد في طريقه المدن الغربية للبلاد وينظر في شؤونها ويقيم تحصيناتها، فبدأ بتلمسان، و مستغانم، و تنس، والعديد من المدن الأخرى لكنه توقف في تلمسان بسبب شكوى علمائها وسكانها من ملكهم الزياني، الأمر الذي جعله يطلب من الأعيان والعلماء أن يجتمعوا معه ويقرروا مصير ملكهم، فأقر الجميع على خلعه وأن تصبح تلمسان جزءا من آيالة الجزائر، وبالفعل تم خلع الملك وإعلان تلمسان رسميا جزءا من الدولة الجزائرية وبشكل نهائي⁶¹.

لقد تمكن صالح رايس بحنكته السياسة وخبرته العسكرية من التصدي لحملة السلطان السعدي بل وإطاحته من عرشه وتنصيب ملك حليف له يضمن جانبه على الأقل، ورسم الحدود الغربية للجزائر مع هذا الحليف إذ طلب من ملك فاس ألا يجتاز جبال المولحية التي تواجه مليبية والتي تفصل تلمسان عن مملكة فاس⁶²، وأن تدفع فاس للجزائر حوالي 400 ألف مثقال⁶³ من الذهب⁶⁴.

ولم تتعكر العلاقات الجزائرية المغربية إلا بعد وموت صالح رايس سنة 1556⁶⁵، و عودت الشريف السعدي سنة 1555، حيث من الفرار إلى مراكش وفيها استقر وبدأ يستنفر القبائل وبعث العساكر والأجناد، فاجتمع له خلق عظيم سار بهم إلى أبي حسون⁶⁶، حيث تمكن من أخذ محلة فاس وقتل السلطان أبي حسون وأرسل رأسه إلى مراكش⁶⁷، ليتم زحفه نحو تلمسان التي فشل في ضمها حيث تصدى لحملته خليفة صالح رايس، الحسن بن خير الدين باشا الذي قتله وحمل رأسه⁶⁸ للقصبة

وعلقه عند مدخل باب عزون⁶⁹ ثم سلمه للسلطان في إسطنبول.

4.3 حملة صالح رايس على بجاية واستردادها من الإسبان:

قبل المضي قدما في سرد أحداث الحملة التي قادها صالح رايس من أجل استرداد بجاية من يد الإسبان يجب علينا أولا أن نبين الأوضاع التي كانت تمر بها البلاد الجزائرية في تلك الفترة، لقد أولى صالح رايس اهتماما كبيرا بفكرة الجهاد ضد النصارى الإسبان والبرتغاليين، فلم يهدف من وراء أي عمل قبل هذا إلا حشد القوة وتجميع الشعب الجزائري تحت راية واحدة كشعب واحد لاسترداد الأراضي المحتلة من طرف النصارى الإسبان في كل من بجاية، المرس الكبير، ووهران، ولكن أنا يتسنى له ذلك وحاكم مجانة والقلعة يتحين به الفرص ويعلن استقلاله عن الآيالة، وفي سنة 1555، استطاع محمد السعدي من استرجاع مدينة فاس وقتل أبو حسون الوطاسي حليف صالح رايس، وبدا بتجهيز جيشه رفقة حلفاءه الإسبان ليضرب به الجزائر من جديد⁷⁰.

إن المراسلات⁷¹ الإسبانية توضح النقاط الرئيسية في المفاوضات التي كانت بين محمد الشيخ السعدي والإسبان، فقد عرض عليهم أن يقود 30 ألف فارس إذا منحه الإسبان 12 ألف جندي مقابل أن يدفع لهم 100 ألف مثقال من الذهب كأجرة مسبقة، ورد هذا في رسالة بعث بها الكونت ال كوديت Conte D'Alcaudé، حاكم وهران إلى وريثة العرش الإسباني مؤرخة في أوت من سنة 1555، يقول فيها: "... بيدوا أن الله يتولى بنفسه تسيير هذه المفاوضات التي لها أهمية كبرى في خدمة صاحب الجلالة وفي خدمة معاليكم..."⁷²

لما اطلع صالح رايس على هذه الاستعدادات بدأ هو الآخر يستعد لحملته على بجاية كضربة استباقية يفاجئ بها كل من الإسبان والسعديين وهي فرصة لطردهم من الجزائر، على حد قول دو غرامون De Grammont في حديثه عن حملة صالح رايس على بجاية فيقول: "...البليرباي عازم على طرد النصارى من بجاية..."⁷³

بينما كان حاكم بجاية الدون الونزو دوبرالتا Don Alonso De Peralta، قد سمع من بعض صيادي السمك الإيطاليين أنهم شاهدوا أسطولا جزائريا ضخما قادما من جهة الشرق فلم يصدق أن الجزائريين سيهاجمونه لكنه أخذ احتياطاته وبدأ يستعد، فشن الغارات على القرى والمداشر القريبة للمدينة ونهب ما فيها من مواشي ودواجن وحبوب، وأرسل في طلب النجدة من إسبانيا⁷⁴ لأنه يعلم أن بجاية باستثناء وهران من أهم المراكز الإسبانية في الشريط الساحلي الشرقي للجزائر، كما كان يعلم جيدا أن الإسبان بطيئين في تموين حامياتهم وهذا ما كانت نتيجته فيما بعد، حين صار الحاكم ضعيفا أمام الحصار البري⁷⁵ والبحري الذي فرضه عليه صالح رايس⁷⁶.

ففي شهر جوان سنة 1555، سار صالح رايس إلى بجاية عن طريق البر رفقة ثلاثة آلاف من الأتراك والقبائل الموالية مسلحين بالبنادق، وأرسل عبر البحر سفينتين شرعيتين مجهزتين ب 12 مدفع كبير وإثنين من المجانيق الكبيرة ومركب للنقل⁷⁷ والكثير من الذخيرة والمؤن، وفي طريقه الى بجاية جمع أكثر من 30 ألف من القبائل والفرسان والمشاة الزواوة الذين أرسلهم ملك كوكو والمشايخ الآخرين وبهذا

الجيش وضع الحصار على بجاية⁷⁸.

ويضع الحصار⁷⁹ في يوم الجمعة وينصب بطارتين واحدة من الأعلى الى الجانب من شرق المدينة بستة مدافع باتجاه القصر الإمبراطوري الذي شيده شارلكان مع الأسوار⁸⁰، كانت هذه البطاريات بقيادة القائد يوسف، أما البطارية الثانية فوضعت لقصف حصن فورجيلات وهو حصن منيع من مدخل المرفأ الذي كان محصن بستة مدافع كبيرة ومجانيق وهذا حسب هايديو⁸¹.

بينما نجد في مصادر أخرى أن الجيش الجزائري هاجم القصر الإمبراطوري بعد قصفه بالمدافع الكبيرة التي قوضت أسواره واستولوا عليه عنوة، ولم يخرج منه الإسبان إلا بعد ما استنفذوا كل قوتهم ووسائل دفاعهم، وما كاد الجزائريون يتسلمون الحصن حتى بدأوا في إقامته ليستغلوه كموقع استراتيجي في قصف المدينة ومراقبة كل تحركات الإسبان البحرية، والذين أخذوا في تعزيز دفاعاتهم في قلب المدينة المحاصرة⁸².

وهذا ما يبدو جليا في الرسالة التي بعث بها حاكم بجاية الدون الونزو دو بيرالتا إلى وصية العرش الإسباني الأميرة خوانا Jeanne ابنة شارلكان Charles-Quint، في شكل تقرير يبلغها فيه عن بوادر انهياره وعدم قدرته على التصدي لمدفعية ملك الجزائر⁸³، أما نص الرسالة فهو كالآتي⁸⁴: “ لقد أرسلت لسموكم قبل هذا أبلغكم الحال التعيسة التي أصبحت عليها مدينة بجاية وأنها في حاجة إلى النجدة، فلا توجد أية جدران حصينة تستطيع أن تصمد أمام المدفعية القوية، والتي لم نرى مثلها من قبل، والتي نصبها ملك الجزائر، وأن المقاومة صارت صعبة... -نص الرسالة المؤرخة ببجاية في 17 سبتمبر 1555.. -⁸⁵ -⁸⁶“.

ويذكر هايديو عن حصار بجاية أن المدفعية الجزائرية التي كانت في الحصن الإمبراطوري قد أغرقت سفينة إسبانية جاءت بالمؤن ورواتب الجنود والتي استعادها صالح رايس فيما بعد واستفاد من حمولتها.

أما في اليوم الثامن من الحصار فإن دفاعات حصن فرجيلات Fort Jilet، صارت أثارا وقتل فيه 100 جندي إسباني وأرغم البقية على دخول المدينة، وفي اليوم الرابع عشر من الحصار تحطمت أسوار الحصن الإمبراطوري وصالح رايس يرى نفسه سيدا على الحصون، فراح يبعث رسولا إلى الكابتن العام دون الونزو دو بيرالتا الفارس الكنسي الشهير، يشرح له صعوبة المقاومة ويطلب منه تسليم المدينة دون معركة وأنه سيقبل منه الاستسلام بشروط تشرفه⁸⁷.

بينما نجد مارمول يضيف معلومات مهمة حول حامية بجاية وحصارها من قبل صالح رايس إذ يحدثنا عن سكان المنطقة قبل صالح رايس فيقول: “...بقيت بجاية تحت حكم ملوك قشتالة مدة 53 سنة وكانت بها حامية مكونة من 500 جندي وثلاث قلاع، وكانت القبائل التي تسكن المنطقة مدربة على القتال لا يكف رجالها على الطواف بتلك الأنحاء مسلحين بالبنادق، ولما كانت سنة 1555، جاء صالح رايس يحاصر بجاية من جهة البر بأربعين ألف مقاتل منهم عشرة آلاف فارس مسلحين بالبنادق والقذافات ومن جهة البحر ب 22 سفينة حربية صغيرة و غليوبات...“⁸⁸.

لقد أغفل كل من مارمول وهايدو ذكر أحداث أهم المعارك التي كانت في الحصون البحرية بأكثر دقة، فمثلا معركة حصن باب البحر الذي كان أسفل المدينة وامتاز بجدرانه السميقة والتي قصفتها المدفعية الجزائرية مدة خمسة أيام لتقتحم القوات الجزائرية المدينة وتدخل في معركة دامية مع الإسبان المعرفين ببسالة قتالهم⁸⁹.

ومعركة الحصن الكبير آخر معقل للإسبان في المدينة ومركز مقاومتهم المعروف بسماكة جدرانه وطوله البالغ 15 قدم، والذي عرف عند سكان المدينة باسم حصن موسى المنيع، فلم يكن هناك حل لاقتحامه سوى تسلق جدرانه⁹⁰.

لقد أخذ سبعة من الرجال الفدائيين على عاتقهم تسلق جدران الحصن، فاتخذوا سلايم من حبال لكنهم سقطوا تحت وابل رصاص الإسبان، ليتبعهم كثير من رفاقهم ولم تمضي تلك الليلة حتى تغلب الفدائيون أصحاب السلايم على المقاومة الإسبانية، وفتحوا الحصن حينها خلف صالح رايس هؤلاء الشهداء وبنى لهم ضريحا في سفح برج موسى واشتهر بهم لمدة من الزمن ومازال إلى اليوم حمام بسيط بقرية يحمل اسم (حمام سبع رجال)⁹¹، ليتم الاتفاق بين صالح رايس والكونت الونزو حاكم بجاية على طريقة وشروط الاستسلام فاتفقوا على أن العملية تتم بطريقة سلمية⁹²، فيسمح صالح رايس للحاكم ورجاله الانسحاب من بجاية ويأخذوا معهم كل املاكهم المنقولة وأسلحتهم، ويتم نقل الحاكم في السفينة التجارية التي جاء بها صالح رايس، وأن المنتصر هو من يتكفل بنفقات النقل وضروريات السفر للمهزوم⁹³.

وضع صالح رايس حدا لأطماع الإسبان في المنطقة وتلاعبهم بمصيرها، كما أبرزت الحملة مدى اتحاد الجزائريين والتفافهم حول قيادتهم فنجد قبائل زاوية بقيادة ملك كوكو يشاركون صالح رايس بقوة في حصار بجاية وتحريرها من يد النصارى الإسبان⁹⁴، ولم يتوقف طموح صالح رايس عند هذا الحد بل نجح الحملة جعله يفكر جديا في الاستعداد لحملة أخرى على وهران آخر معاقل الإسبان في الجزائر⁹⁵ حيث بعث رسولا للباب العالي يطلب فيه دعما عسكريا للحملة⁹⁶، كما تمكن صالح رايس من إحباط التحالف الإسباني السعودي وقطع الطريق أمامهم⁹⁷.

وفي هذا الصدد يلخص لنا المؤرخ الجزائري ابن سحنون الراشدي أعمال صالح رايس في قوله: “...ثم إن دولة الأتراك ضربت الأرض بجيرانها، وألقت بهذا المغرب الأوسط كلكلها، ومدت رواقها على ما بين وجدة إلى منتهى أعمال تونس، فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن وذهبت مواد الشقاق...”⁹⁸.

5.3- حملة صالح رايس على وهران :

بعد انتصاره في بجاية وجه صالح رايس كل اهتمامه ناحية الغرب الجزائري لاسترداد وهران والمرسى الكبير من الإسبان، الذين دخلوا في مفاوضات جديدة مع السلطان السعودي⁹⁹ قصد الوصول لعمل سياسي وعسكري جديد ضد أiyالة الجزائر- حيث وصلت لمسامح رجال الدولة في الجزائر أبناء تؤكد صحة هذه المفاوضات عن طريق الجالية اليهودية بالجزائر، لذلك بادر البيلرباي صالح باشا بإعلام السلطان سليمان بإسطنبول برسالة كان مبدأها “...من أجل طرد النصارى من بلاد الجزائر...”¹⁰⁰.

ومع بداية شهر سبتمبر من نفس السنة أرسل لسلطان هدايا نفيسة، وتقرير عن نجاحه في حملة بجاية واستردادها من الإسبان، طالبا فيها من السلطان الموافقة على إرسال إمدادات بحرية كبيرة السنة المقبلة لترافقه مع قواته في حملته الكبرى على وهران واعدا إياه باسترجاعها والمرسى الكبير من الإسبان¹⁰¹.

وبغرض إنجاح المهمة أرسل ولده القائد محمد الذي وضع خطة مشروع حملة وهران بين يدي السلطان سليمان الذي كان رده حاسما وهو ضرورة مهاجمة وهران واستردادها من الإسبان قبل أن تسفر المذاكرات بين السعوديين والإسبان عن نتيجة عملية، فأرسل مع محمد¹⁰² جوابه لصالح رايس وأمر بتجهيز مدد بحري كبير مكون من 40 سفينة كبيرة و60 ألف إنكشاري، وأن تتهيأ للرحيل مع بداية الربيع¹⁰³.

استغل صالح رايس فترة وصول الإمدادات لصالحه، حيث راح يستعد على نار بنشاط وسرية تامة في جمع الذخيرة للحرب وإعداد السفن، وفي شهر ماي سنة 1556، تنطلق الأربعون سفينة من إسطنبول لتصل بجاية في جوان من نفس السنة، والذي تحدث عنه حاكم وهران في رسالة موجهة إلى إسبانيا¹⁰⁴.

وفي هذا الصدد يقول هايدو: "... وصالح الذي علم بمغادرتها القسطنطينية كان قد أنهى تحضيراته، و في نفس اللحظة التي وصل فيها الأسطول ركب صالح رايس البحر ... " ¹⁰⁵، و في شهر جوان من سنة 1555، وبعد 24 ساعة من إصابته بالطاعون توفي صالح رايس عن عمر ناهز 70 سنة ليواصل خليفته حسن قورصو حملته على وهران¹⁰⁶.

4- وفاة صالح رايس :

ما إن وصل صالح رايس ميناء تامنفوست شرقي الجزائر حيث أورد انتظار الاسطول العثماني ومنها يتجه مباشرة لحملة على وهران، وخوفا على الجنود من العدوي بمرض الطاعون الذي انتشر بالمدينة¹⁰⁷ ودون أن يتوقف بها قرر المضي لكنه أصيب بالطاعون وفي مدة 24 ساعة مات دون أن يجدوا له علاج¹⁰⁸.

ويذكر هايدو¹⁰⁹ في ذلك: "... وصالح رايس يدفن بقبر يقع إلى الخارج من باب الوادي في مكان تواجد مقابر الملوك، وهذا القبر هو الأقرب للبحر أنشأه خليفته حسن قورصو، وبعده راح ابنه محمد يبني عليه ضريحا لايزال الى اليوم ظاهرا-يقصد فترة استقراره في الجزائر -...، كما يذكر في وصفه أنه مات عن 70 سنة، وقد كانت له لحية بيضاء وقامة متوسطة، ذا جثة ضخمة وبشرة سمراء، وكان دائما يظهر مظهر الشجاع بالحروب، فكان موت صالح رايس في رجب سنة 963 هـ/جوان 1556.

ملحق الوثائق:

نص رسالة حاكم بجاية الدون الونزو دوبرالطا لوصية العرش الأميرة جوانا المؤرخة في 17 سبتمبر 1555، بجاية.

نص الرسالة التي بعث بها حاكم بجاية الدون الونزو دو بيرالتا إلى وصية العرش الإسباني الأميرة

خوانا Jeanne ابنة شارلكان Charles-Quint المؤرخة بجاية في 17 سبتمبر 1555.

« لقد أرسلت لسموكم قبل هذا أبلغكم الحالة التعيسة التي أصبحت عليها مدينة بجاية، إن هذا المعقل في حاجة ملحة إلى النجدة السريعة، فلا توجد أبدا أية جدران حصينة تستطيع أن تثبت أمام المدفعية المرعبة التي نصبها الكلب ملك الجزائر أمام بجاية، فخلال يومين اثنين حطم الأتراك بصفة تامة الحصن الإمبراطوري وسدوا الخنادق ولقد أصبح من المستحيل استمرار المقاومة، وصرت أتلقى من رجال الحامية -رسائل تسألنا أنا والمراقب - باسم الله أن نعمل على انقاذهم، حيث جمعت مجلسا حربيا في بيت المراقب مؤلفا من كبار الضباط وشخصيات أخرى أبرزهم السيد أوشوا دو سيلايا، الضابط فيليب دو بامان، الضابط توماس دل كاستيل، الضابط الونزو سانشيز، المحارب القديم الونزو دي لوك، القائد بيدرو دوبيرالطا، وقد اتفقوا على أنه لا يمكن المقاومة أكثر من هذا الحد، فكل شيء قد تحطم حتى الأساس وتهدمت الجدران، وما بقي منها قائم فهو على وشك الانهيار، من أجل ذلك اجتمعت كلمتنا على تسليم الحصن و نفس الأقواس والركائز التي لاتزال قائمة، وقد نفذ كل هذا بالفعل، ونحن ننتظر ماذا سيكون مآلنا، فالأتراك قد نصبوا مدافعهم الآن نحو نفس المدينة وهم عديدون ومسلحون بالبنادق النارية، التمس من سموكم إصدار الأوامر لكي نتلقى من إسبانيا بكل سرعة المدد اللازم ولتعتقد سموكم انني مستعد للموت مثل -والدي- في سبيل الله وسبيل صاحب الجلالة»¹¹⁰.

الخاتمة :

لقد صدقت الحوادث التي تلت تنصيب صالح رايس على رأس آيالة الجزائر وأجابت على تساؤلاتنا، حيث كانت الأربع سنوات 1552-1556، والتي قضاها في الجهاد البحري والبري ضد الإسبان فاسترد بجاية وحاربهم في مايوركا، وبادس، ومات على أبواب حملته عليهم في وهران.

أما فيما يخص الوحدة الترابية فقد وحد صالح رايس البلاد تحت راية آيالة الجزائر، وأخضع الإمارات المتفرقة كإمارة الزيانيين في تلمسان، وقضى على عصيان إمارتي توقرت وورقلة، واتحد مع ملك كوكو بينما واصل حربه ضد المقراني حاكم القلعة.

بالنسبة للحدود الجزائرية فقد رسم الحدود حيث وصلت تخوم الجزائر من الشرق، والجنوب مثلما هي عليه الآن بصفة تقريبية، أما الغرب فتركزت حتى نهر الملوية بعد التصدي المستمر لحملة السعديين ملوك المغرب.

ويمكن أن أختتم بقول المؤرخ الفرنسي دي غرامون في حديثه عن رياس البحر من أمثال صالح رايس رحمه الله، فيقول: «... إنهم كانوا رجال شرف وأمانة عسكرية، ولم يكونوا أوباشا أو لصوص بحر».

الهوامش:

- 1- يرى بعض المؤرخين أنه ينحدر من غرب الأناضول منهم، الناصري، والدكتور المنور مروش.
- 2- فراي دييغو دو هايدو، تاريخ ملوك الجزائر، تر. أبو لؤي عبد العزيز الأعلى، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص 97.
- 3- Moulay Belhamissi. Marine et marins d'Alger (1518.1830). B.N d'Algérie. Algerie. 1996. T 1.P142.
- 4- دو هايدو، المصدر السابق، ص 97.
- 5- نفسه، ص 98.
- 6- جون ب. وولف، الجزائر وأوروبا، تر. تح. د. أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 70.
- 7- المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، ج2، دار القصة، الجزائر، 2009، ص 125.
- 8- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح. تق. المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص244.
- 9- من أبرز المصادر نجد كل من هايدو ، مارمول كاربخال، سواريس، ابن سحنون الراشدي وغيرهم .
- 10- المنور مروش، المرجع السابق، ص 126.
- 11- نفسه، ص 127.
- 12- خليل الساحلي، تقليد صالح باشا ولاية الجزائر الغرب سنة 1552، في مجلة التاريخ المغاربي، العدد 2، جويلية، 1974، تونس، ص 125.
- 13- خليل الساحلي، المرجع السابق، ص133.
- 14- المنور مروش، المرجع السابق ، ص 127.
- 15- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج 2، تر. محمد زنيبر، أحمد توفيق، دار المعرفة، 1989، المغرب، ص 386.
- 16- Suares Montanes Diego, « Mers -El- Kébir », trad.A .Berbrugger, in Revue Africaine, V 9, année 1865, P251.
- 17- Henri.Delmas de Grammont, **histoire D'Alger sous la domination Turque (1515.1830)**, Ernest Leroux Editeur, Paris, 1887, P78 .
- 18- المرجع السابق ، ص 126.
- 19- نصر الدين سعيدي، تاريخ الجزائر في العهد الحديث، دار البصائر، الجزائر، 2013، ص 35.
- 20- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492، 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 338.
- 21- دو هايدو، المصدر السابق، ص 97. لمزيد من المعلومات انظر أيضا مارمول كتاب أفريقيا الجزء 2، ص 386 وما بعدها.
- 22- دو هايدو، هو رجل دين ومؤرخ ولد بإسبانيا، وتعرض للأسر من قبل رياس جزائريين وبقي أسيرا في الجزائر من سنة 1578 إلى غاية سنة 1581، مكنه احتكاكه بالأسرى القدامى وبعض الشخصيات في الجزائر من تدوين تاريخ الجزائر في عدة مؤلفات منها تاريخ ملوك الجزائر، الطبوغرافيا والتاريخ العام، حيث يعتبر من أبرز مؤرخي القرن

- 17م الذين كتبوا عن تاريخ رياس البحر خاصة خير الدين بربروس، حسن قورصو، صالح رايس وغيرهم.
- 23- المصدر السابق، ص 98.
- 24- أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص 339. وجاء فيه أن صالح رايس اتفق مع شيوخ الاباضية حكام ورقلة ان يدخلوا تحت سلطة ايلة الجزائر، ويدفعوا اتاوات سنوية مقابل ان تحميهم الدولة وتترك لهم كامل الحرية في تعاملاتهم ومعتقداتهم وأن تلتزم باحترامها.
- 25- جون ب ولف، المرجع سابق، ص 70. فيقول كان من الواجب على صالح رايس أن يتصرف بسرعة وبفطنة لأن عصيان بني جلاب بتوقرت و ورقلة لو نجح فإنه سينتشر في كامل أجزاء الآيالة ذلك ان عملية دفع الضرائب كانت عمل غير محبوب عند الناس، خاصة وأن سكان الرحل يعتبرون أنفسهم أحرارا.
- 26- حسب دو غرامون فإن عبد العزيز اصطحب معه 8000 محارب من أرض زواوة.
- H.D de Grammont, OP, CIT, P78
- 27- جون ب ولف، المرجع سابق، ص 70.
- 28- حسب دوغرامون فإن صالح رايس قام بالحملة على اسبانيا بطلب من ملك فرنسا حيث اقترح عليه أن يشترك معه في حملاته ضد اسبانيا. Ibid, P79
- 29- نصر الدين سعيدوني، المرجع سابق، ص 35.
- 30- المنور مروش، المرجع سابق، ص 129
- 31- أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص 340.
- 32- نفسه، ص 35.
- 33- دو هايدو، المصدر السابق، ص 99.
- 34- H.D de Grammont, OP, CIT, P79 .
- 35- المنور مروش، المرجع سابق، ص 128.
- 36- محمد باشا سيغدو ملكا للجزائر فيما بعد انظر دو هايدو ص 108.
- 37- مارمول كاربخال، إفريقيا، ج.2، مصدر سابق، ص ص 386.387.
- 38- أحمد توفيق المدني، المرجع سابق، ص 340.
- 39- Albert,Devoulx. « La marine de la régence d'Alger », in Revue Africaine, V13, année 1869, P391 .
- 40- مارمول، المصدر السابق، ص 390.
- 41- المنور مروش، المرجع السابق، ص 128
- 42- Ibid., P.79
- 43- Charrière, E. Négociation de la France dans le levant, imprimerie nationale, Paris, T2, P204.
- 44- دوهايدو، المصدر السابق، ص 100.
- 45- نفسه، ص 101.
- 46- Auguste, Cour. L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la

régence D'Alger (1509.830), Leroux, Paris, 1904, P150 .

47- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدرتية، تق.و تح. عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل، مراكش، المغرب، ط.1، 1994، ص ص 22. 23.

48- Auguste, Cour., L'établissement, OP, CIT, P160 .

49- محمد الشيخ السعدي هو محمد بن عبد الرحمان بن زيدان السعدي الحسني، حكم بلاد المغرب الأقصى سنوات 1540-1557، في عهده قضى على الوطاسيين بفاس، عرف بنزعتة التوسعية على حساب إيالة الجزائر التي تصدى له حكامها خاصة حسن باشا وصالح رايس حيث كانت نهايته على أيديهم. انظر محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، ص94.

50- أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الدولة العلوية، تق. تع. جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ج 4، ص 160.

51- المنور مروش، المرجع السابق، ص 120.

52- نفسه ص 122.

53- دو هايديو، المصدر السابق، ص 104.

54- مارمول، ج2، المصدر السابق، ص 331.

55- محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تق. تع. عبد اللطيف الشادلي، دار النجاج، المغرب، 1989، ص 73.

56- نفسه، ص 102.

57- نفسه، ص 103

58-H.D de Grammont, OP, CIT, P.P 80.81

59- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 70.

60- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 342.

61- نفسه، ص 343.

62- مارمول، المصدر السابق، ص 291. قال مارمول حول قضية الحدود الجزائرية المغربية نرى أنه من الأفيد أن النهر القديم ميليفيا كان حدود معترف بها بين المغرب وإيالة الجزائر كما كان في السابق في عهد الرومان بين تانغتان وموريتانيا القيصرية.

63- المتقال هو مكيال كان معمولا به في إيالة الجزائر إبان الحكم العثماني، وتساوي نسبته 4.669 غرام من الذهب المصنوع والجواهر الصافية زائد العطور المختلفة. انظر منور مروش دراسات عن الجزائر، ج 1، دراسة حول العملة المداخيل والأسعار، ص 409.

64- Auguste, Cour., L'établissement, OP, CIT, PP116.115 .

65- يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 60.

66- محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي، المصدر السابق، ص74.

67- أحمد الناصري، المصدر السابق، ص 161.

- 68- محمد الصعير الإفرائي، المصدر السابق، ص94.
- 69- تاريخ الدولة السعودية التكمدرتية، المصدر السابق، ص 26.
- 70- المنور مروش، المرجع السابق، ص 130.
- De La Primaudaie, Elie. « Documents inédite de l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique », .
- 71- Revue Africaine, V21, année 1877, P288. .
- 72- De La Primaudaie, OP, CIT, P288 .
- 73- H.D de Grammont, OP, CIT, P81 .
- 74- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 344.
- 75- بينما يذكر مارمول أن أمطار الخريف التي كانت ناذره أيام الإسبان في بجاية قد تهاطلت بصفة كبيرة حين قدوم صالح رايس، وارتفع بسببها منسوب مياه الوادي - يقصد به وادي الساحل أو وادي الصومام-الذي سمح للسفن من اجتياز مصبه إلى ما خلف المدينة على مسافة 5 كلم تقريبا، فاغتنم صالح رايس الفرصة والتف خلف الخطوط الدفاعية الأمامية للإسبان وأنزل مدفعيته والاته الحربية ونصبها على المدينة بغاية الاحكام. أنظر كتابه افريقيا، ج2، ص 380.
- 76- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 71. حسب كلام جون ب وولف أن سبب سقوط بجاية وهزيمة الدون الونزو هو بطيء وتأخر وصول الإمدادات والتموين من اسبانيا، ناسيا أو متناسيا قوة المدفعية الجزائرية التي ذكرها كل من هايدو، مارمول، دي غرامون وغيره ومنها نلاحظ ان اغلب المؤرخين الغربيين يتعاملون مع التاريخ المحلي والإسلامي بأنانية نوعا ما.
- 77- H.D de Grammont, OP, CIT, P81.
- 78- دو هايدو، المصدر السابق، ص 105.
- 79- لمزيد من المعلومات أنظر De La Primaudaie, OP, CIT, P218.
- حيث ورد في رسالة من أحد الضباط الإسبان الناجين واسمه بيلباو تتحدث عن سقوط الحصون وعن حصار المدينة بالتفصيل.
- 80- والتي تؤكد عدم وجود أسوار مطلقا وأن الفرسان قد عبروا من خلال ثغور بالحصن.
- De La Primaudaie, OP, CIT, P279.
- 81- دو هايدو، المصدر السابق، ص 106.
- 82- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، 345.
- 83- نفسه، ص ص 345-346.
- 84-La Primaudaie, OP, CIT, P279. 280.
- 85- أنظر الملحق رقم واحد وفيه نص الرسالة كاملا.
- 86- Ibid., P.P.279.280.
- 87- دو هايدو، المصدر السابق، ص 107.
- 88- مارمول، المصدر السابق، ص 380.

- 89- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 446.
- 90- نفسه، ص 447.
- 91- المهدي البوعبدلي، «الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى»، في مجلة الأصالة، السنة الثالثة، ع 13، مارس أفريل 1973، الجزائر، ص 37.
- 92- lbert, Devoulx. « La marine de la régence d'Alger », in Revue Africaine, V13, année 1869, P 389. .
- 93- وهذا خلافا لما جاء في بعض المصادر الأجنبية كما رموه الذي قال «إن صالح رايس قد أخل بوعده واستباح دماء الإسبان في بجاية»، ص 380 وما بعدها.
- 94- H.D de Grammont, OP, CIT, P81 .
- 95- ومن الغريب أن نرى حاكم بجاية السابق دون الوزو يكتب لوصية العرش الإسباني في تقرير عن حصاره يخبرها ان صالح رايس لو انتصر في بجاية فإنه عازم على مهاجمة وهران فيقول : سأرسل لسموكم تقريرا مفصلا عن هذه المأساة وان ملك الجزائر عازم على مهاجمة وهران. أنظر De La Primaudaie, Documents, OP, CIT, P283.
- 96- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 61.
- 97- نصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 36.
- 98- أحمد ابن محمد ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح.تق. المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص ص 460.459.
- 99- E. Charrière, OP. CIT., T..2, P108 .
- 100- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 359، 365.
- 101- Moulay Belhamissi , OP. CIT., T..2, P143..
- 102- Ibid, T.2, P145 .
- 103- جون ب وولف، المرجع السابق، ص 71.
- 104- De La Primaudaie, Documents, OP, CIT, P 378 .
- 105- دو هايدو، المصدر السابق، ص 109.
- 106- المنور مروش، المرجع السابق، ص 130.
- 107- نفسه، ص 130.
- 108- H.D de Grammont, OP, CIT, P 83 .
- 109- بالعبارات التالية وصف دو هايدو موت صالح رايس فقال «مات بالطاعون بفضل الله».
- 110- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 346.345.